

ألف حكاية وحكاية (٨٣)

# مصباح أمام كل بيت

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشاروني



رسم

عادل البطراوي

مكتبة مصر

٢ شارع كامل صدقي  
القجالة - القاهرة

## "مصر" بقطرات من دماء الأطفال

كنا ١٢٠ من الفتيات والفتيان ، أعمارنا ما بين ١٢ و ١٥ سنة ، حمل كل واحد منا وردة ، وقد انصهرت مشاعرنا ، فأصبحنا كأننا شخص واحد ، حتى إن كل فرد منا ضغط بعطف إبهامه على شوكة من أشواك الوردة التي يحملها ، وبقطرات من دماننا ، اشتر كنا في كتابة اسم " مصر " على الراية التي معنا ، ورفعناها عاليًا .

ثم اتجهت مسيرتنا في صمت ، لنضع ورودنا مع دموعنا ، فوق المكان الذي ارتعشت أحجاره من الألم والاستنكار ، في معبد حشموت بالدير البحري بالأقصر ، بسبب دماء الأطفال والأمهات والعجائز التي سالت من ضيوف مصر الأبرياء .

وأضافت " بسنت " رئيسة اتحاد طلاب مدارس مصر للغات ، قائلة :



" وبغير اتفاق سابق ،  
 وجدنا أنفسنا نُشدُّ بصوتٍ  
 واحدٍ : " مصرُ هي أمي ، نيلها  
 هو دمي ، ثمنها في سماري ،  
 شكلها في ملامحي ، حتى  
 لوني قمحي ، لون خبزك يا  
 مصر . "

وكان معنا "فهد" ، الطفلُ  
 الصغيرُ الملتحقُ بقصول ذوى  
 الاحتياجات الخاصة بمدارسنا ،  
 الذى انفل بالموقف ، فانطلق  
 وربما لأول مرة في حياته ،  
 يهتفُ في حماسٍ : " تحيا  
 جمهورية مصر العربية " .



وانطلقنا كلنا نرددُ الهتافَ معه ، ونحن لا نستطيعُ السيطرة على  
 دموعنا .

فشكرًا لمديرة مدارسنا ، فقد هيأت لنا كلَّ الإمكانيات للقيام  
 بالزيارة والمشييرة ، لنعيش تلك اللحظات التى لا نساها ، فى حبِّ  
 مصر .



## مصباح أمام كل بيت

كلما أمر في الشارع الذي يوجد به منزلنا ، أحس بالضيق ،  
بسبب ما نجد فيه من قمامة ، وللظلام الذي يعيش فيه الشارع بعد  
الغروب .

وقد حدثت والدي عن  
ذلك ، لكنني وجدت مشاغلة  
الكثيرة لا تسمح له بأن يفعل  
شيئا .

ولما كانت لي بعض  
الزميلات والصديقات في نفس  
شارعنا ، فقد اتفقا على أن  
نلتقي في منزلنا ، للوصول إلى  
حل .

وانتهينا إلى أن نقتع كل  
واحدة منا أسرتها وجيرانها  
بتدبير مبلغ شهري ، تكلف به  
أحد العمال ، ليجمع القمامة  
من بيوتنا ، وأن يعلق كل منزل  
مصباحا كهربائيا صغيرا أمام  
مدخله .



وقد احتاج الأمر إلى أسبوعين أو ثلاثة ، حتى أصبح الشارع مُصنّياً .

كما وجدنا عامل نظافة يعمل في إحدى المصالح الحكومية ، وافق على أن يجمع القمامة من البوت في الصباح الباكر ، قبل الذهاب إلى عمله ، مرة كل يومين ، على أن تدفع له كل أسبوع نصف حنيه شهرياً .

وأصبحنا من أول المستفيدين بالإضاءة والنظافة في شارعنا .



سمعتُ هذه التجربة من طالبة بالمرحلة الإعدادية ، في لقاء بمكتبة الطفل ، بمقر جمعية الرعاية المتكاملة بأسبوط ، كان موضوعه " تعاون الجهود الأهلية التطوعية ، مع الجهات الحكومية ، في حل مشاكل البيئة " .



اسمى محسن برعى إسماعيل . عمرى ١٤ سنة .. أعطى  
ميكانيكى سيارات .. بدأت العمل فى الورشة وعمرى ٩ سنوات .  
يوميتى ٥ جنيهات .. إجازتى يوم الجمعة . ولا أعرف الإجازة  
السبوية .

الورشة تفتح من التاسعة صباحاً إلى التاسعة مساءً . وأحياناً إلى  
الحادية عشرة مساءً .

أعطى والدتى أربعة جنيهات . واحتفظ بالجنيه الباقى  
وبالبقشيش لمصروفى وملابسى ومواصلاتى .

لى أخ وثلاث أخوات . كلهم أصغر منى . أحياناً أعطى  
إخوتى مصروفين . وهم يطلبون مشورتى فى أشياء كثيرة .

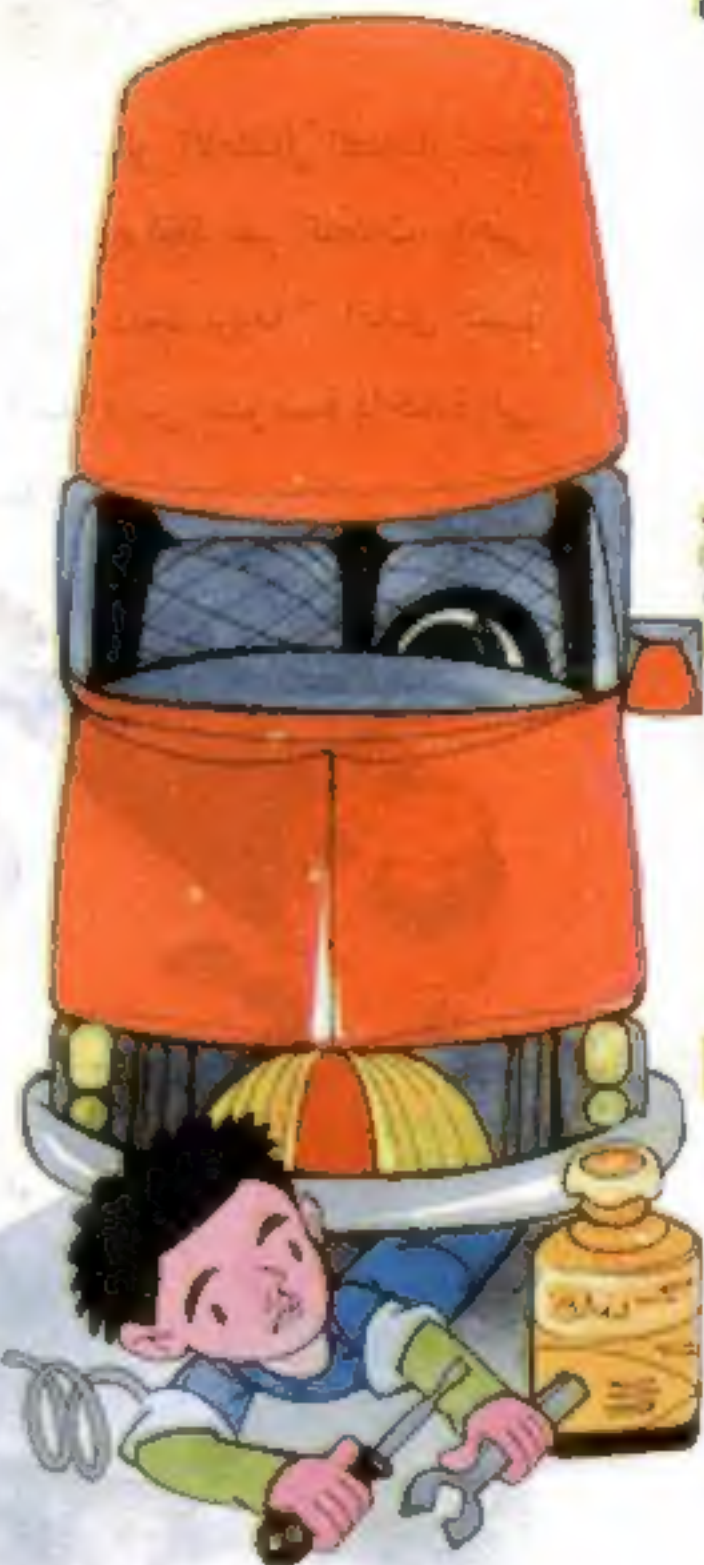
والدى يعمل فى ورشة  
سجاد يدوى . لكن إنتاجه  
قليل لضعف صحته .

والدتى تهتم بى جداً .  
وكثيراً ما تقدم لى مع والدتى  
أفضل ما فى البيت من طعام .  
وبكميات أكبر مما تقدمه لبقية  
إخوتى . مع أنهم جميعاً  
يتعلمون فى المدارس .



تسليتي الوحيدة  
مشاهدة التلفزيون ، وأحياناً  
اللعب " بالكوتشينة " مع  
إخوتي . أفضل النوم يوم  
الجمعة ، لأنني لا أنام وقتاً كافياً  
في بقية أيام الأسبوع . لا  
أدخن ولا أعرف أية مكيفات  
أخرى .

أريد أن أتعلّم القراءة ،  
لأقرأ كتب إخوتي التي  
تُعجبني رسومها . وأتمنى أن  
ألعب كرة القدم مع جيرانى  
في الحارة ، لكن العائلة تحتاج  
إلى يوميتى وتعتمد عليها .



إنهم يعتبروننى رجلاً منذ طفولتى ، ولم يسمحوا لى أبداً أن  
ألعب مثل بقية الأطفال .. إنهم يروننى دائماً " الأسطى بلية !! "



## ماذا فعل أحمد مع الأراجوز

في إحدى المكتبات العامة، اختار الأطفال الصغار اسم أحمد لبطل القصة التي تعتمد على الرسوم فقط بغير كلمات، وهي قصة رسمها الفنان الهولندي العالمي "ديك برون"، الذي كتب ورسم أكثر من ٨٠ كتاباً للأطفال، ابتداءً من عمر سنة واحدة إلى ٧ سنوات، تمت ترجمتها إلى ٣٢ لغة.





قلتُ لهم: "مشى أحمدُ في الشارعِ إلى الروضةِ .. أحمدُ شاف  
الأراجوز اللبة يقعدُ على الأرضِ وحدهُ .. احتضنَ أحمدُ الأراجوزَ ،  
وأخذهُ ليلعبَ معه في الروضةِ ، ثم رجعا معًا إلى البيتِ ."  
وعندما طلبتُ من الأطفالِ ابتكارَ خاتمةٍ جديدةٍ للحكايةِ ،  
قالتُ مروة: "أحمدُ عملَ أراجوزةً بنتًا ، لتلعبَ مع الأراجوز الذي  
وجدَهُ أحمدُ ."

وقالَ عبدُ الرحمن:  
"أحمدُ جمعَ أصحابه في  
حقليةٍ ، ليتعرفوا على  
الأراجوزِ ، ويكونوا كلُّهم  
أصحابًا له ."

وقالتُ إسراء:  
"أحمدُ كانتَ عندهُ لعبةٌ  
أخرى على شكلِ أراجوزِ ،  
أعطى أخته واحدةً ،  
واحتفظَ هو بواحدةٍ ،  
ليلعبَ مع أخته لعبةً  
مروح العرائس ."



أما ماجدة ، وكانت أكبرَ الأطفال الذين استمعوا إلى الحكايةِ  
فقالت: "أحمدُ طلبَ من بابا أن يساعدهُ ليعرفوا مَنْ هو صاحبُ  
الأراجوزِ ، ليذهبوا إليه ، لإعادةِ اللعبةِ إلى صاحبها ."

## أصدقائي قد تغيروا

في لقاء مع ٣٠٠ من فتيات وفتيان المرحلة الثانوية ، بمدرسة جمال عبد الناصر المشتركة بالقاهرة ، أرسل لي أحد الطلبة سؤالاً مكتوباً يقول فيه : " ما رأيك في قصة أخلاق الشباب هذه الأيام ؟



لقد أصبحت أجدُ بعض أصدقائي قد تغيروا كثيراً . كانت أفاظهم مُهذبةً ، وسلوكهم سليماً بوجه عام . لكنهم الآن لا يتحرجون من تبادل نكاتٍ خارجةٍ وحكاياتٍ غير مُهذبةٍ ، وقد أصبحت أشعرُ بالحرص والضيق وأنا معهم . "



قُلْتُ لِلْمُتَسَائِلِ : إِنْ نَعَصَ  
 الشَّابُّ الصَّغِيرَ ، يَتَصَوَّرُ أَنَّهُ لَكَى  
 يُسَمِّحُ الصَّغِيرُ كَبِيرًا ، عَلَيْهِ أَنْ  
 يَسْجُدَ الْمَاطَا حَتَّى أَوْ لَعَةً عَيْرِ  
 مُهْدِنَةٍ . لَكِنْ هَذَا فِيهِمْ خَاطِئٌ لِقَوَاعِ  
 الْحَيَاةِ . فَالاحْتِرَامُ وَالتَّعْدِيرُ يَكُونَانِ  
 بَانَ يُوَكِّدُ لِمَنْ حَوْلَنَا أَنَّنَا وَصَبْنَا إِلَى  
 مَرَحَلَةِ الْمَصْحُوحِ ، نَهْدِرْتَنَا عَلَى تَحْمُلِ  
 الْمَسْئُولِيَّةِ . وَبِالْمُفَكِّرِ الْمُنْتَظَمِ ،  
 وَالسُّلُوكِ الرَّاقِيِ . وَعَلَيْكَ أَنْ تَحْمِلَ  
 أَصْدِقَاءَكَ يَهْمَمُونَ ، بِأَسْلُوبِ مُهْدَبٍ ،  
 أَنْكَ لَا تَرْخَبُ بِهَذَا السُّوْعِ مِنْ  
 الْإِحَادِيثِ . فَمَثَلًا لَا تَصْحَكْ مَعَهُمْ  
 عَلَى مَا تَرَى أَنَّهُ عَيْرٌ مُنَاسِبٌ مِنْ  
 نِكَاتِهِمْ وَأَحَادِيثِهِمْ . أَوْ حَاوِلْ تَحْوِيلَ  
 مَحَرِّ الْحَدِيثِ إِلَى مَوْصُوعَاتٍ  
 لَاقِيَةٍ .



وَأَحْيَانًا يَكُونُ مِنْ عَيْرِ السُّهْلِ أَنْ تَدَافِعَ عَمَّا تَرَى أَنَّهُ الصَّوَابُ  
 لَكِنْ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةُ أَنْ تَكُونَ صَادِقًا مَعَ نَفْسِكَ ، وَمُحَلِّصًا لِمَا تَرَى أَنَّهُ  
 الصَّوَابُ ، أَكْثَرُ مِنْ أَهْمَاكَ أَنْ تَمُورَ بِالْقَبُولِ مِنْ رَمَلَاءٍ يُصَرُّونَ عَلَى  
 ارْتِكَابِ الْأَخْطَاءِ .

## صورة .. صورة .. وصورة !!

واحدًا بعد الآخر . انطلق الاطفال يسرقون على الرلافة  
في القاعة المخصصة للأطفال بمطار استكهولم . ومن سهم طرفة في  
الخامسة . تصحك في مرج كلما وصلت الى الارض . ثم تعاود صعود  
سلم اللعبة . لتسرق من جديد بعد بقعة الأطفال





ووقفت والدتها تراقبها في سعادة ، ثم أخرجت آلة تصوير ،  
وطلبت من بقية الأطفال أن يجمعوا حول ابنتها ، والتقطت لهم  
صورة . ثم التفت نحو زوجها وقالت :

" لماذا لا توجد في كل مطار قاعة مثل هذه ، يجد فيها كل  
طفل أطفالاً آخرين يشاركونه اللعب إلى أن يجيء ميعاد طائرته ؟ "  
وبعد ما بقليل ، دخلت سيدة مع ابنتها ، وكانت تتحدث مع  
بالغة العربية . وما إن صعد الابن إلى " الزلافة " حتى بدأت تصويره  
بآلة فيديو .

لكن طفلة جاءت ووقفت خلف  
الولد ، لتزلق بعده . هنا توقفت الأم عن  
التصوير ، وطلبت من ابنتها إبعاد الفتاة ،  
وابتعدت البنت .

ومرة ثانية ، جاء طفل صغير وجلس  
على حافة الزلافة ، فتقدمت الأم  
بنفسها هذه المرة ، وأبعدته .

وأخيراً استأنفت التقاط ما تشاء من  
صور لابنتها وحده . بينما وقف بقية  
الأطفال يتفرجون من بعيد ، على الأم  
التي لا تريد أن يظهر في شريط صورها ،  
في قاعة الألعاب ، إلا ابنتها وحده !!



## " ذات الرداء الأحمر " تقول شيئاً جديداً

عندما دخلت ذات الرداء الأحمر بيت جدتها ، كان الضوء خافتاً ، فلم تكتشف أن النائم في الفراش هو الذئب ، بعد أن " ابتلع " الجدة . وتسمع الفتاة سؤالاً : " لماذا تأخرت ؟ "

فتجيب : " قابلت رجلاً ! " ثم تصحح ما قالت : " أقصد قابلت ذئباً .. من قال إن الذئب شرير ؟ لقد سمعت منه أحلى الكلام ، بل رقصت معه أيضاً . "

هنا يقول الذئب ، الذي تغن الفتاة أنه جدتها : " كنت أنتظرك لتجلسي بجوارى على الفراش ، لأحسن بالدفع . " وبعد أن تجلس تسأل :

" لماذا أرى يدك كبيرتين ؟ "

فيطوئها بذراعه ويقول : " لكي احتضنك بهما . " وعندما تسأل : " ولماذا أسنانك كبيرة ؟ "





تكونُ الإجابةُ أن يُخفيها  
الذئبُ معه تحتَ الغطاءِ وهو  
يبتلعها !!



ولما جاء الأبُ في الوقت المناسب ، وأخرج الفتاة وجدتها  
أحياء من بطن الذئب ، تقولُ الجدةُ لحفيديها : " هذا هو الذئبُ  
اللطيفُ ، الذي لا يشغلهُ إلا أن يبتلعَ السيدات ، ويخدعَ الفتيات  
الصغيرات " .

عندئذٍ قالت إحدى المشاهدات للعرض المسرحي : " الآن  
فهمتُ معنى " الابتلاع " الذي تحكى عنه القصة . إنها ليست حكايةً  
لصغار الأطفال كما كنتُ أظنُّ ، لهذا قالوا لنا إن هذا العرض  
المسرحيُّ مُوجَّهٌ فقط للسنِّ التي أكبرُ من ٩ سنوات . "  
وكانت تقصدُ العرض الذي قدمه " فريقُ مسرح الطفل  
المصريُّ السويسريُّ " ، على مسرح قصر ثقافة الطفل بالقاهرة .

## أخاف أن أفقد أختي

التحقت أختي هذا العام بكلية الطب ، وتركتني في السنة الأولى الثانوية ، بالمدرسة التي قضينا فيها سنوات دراستنا منذ السنة الأولى الإعدادية . لم تكن نفرق أبداً ، حتى عندما تركتني في مدرستنا الابتدائية ، إلى أن التحقت بها في المدرسة التي قضينا فيها المرحلة الإعدادية ، وأبدأ فيها الآن المرحلة الثانوية .

أما الآن ، فأشعر أن أختي تبعد عني . لم نعد نرافق بعضنا في الطريق صباحاً أو بعد الظهر ، ومواعيد محاضراتها تجعلني لا أكاد أراها في البيت ، وزميلاتها في الكلية يشغلن بقية وقتها في تبادل كراسات المحاضرات أو في التليفون .  
أشعر أنني أفقد أختي يوماً بعد يوم .

والى صاحبة هذه الرسالة ، أقول إنه من الطبيعي أن تجد أختك صداقات جديدة بالجامعة ، لكن ليس معنى هذا حدوث أي تغيير في مشاعرها نحوك . والتحاقها بلك بالجامعة ، سيساعدك على أن تعرفي مقدماً ما الذي ينتظرك عندما تستقلين إلى مرحلة الدراسة بالجامعة .

واقترح عليك أن تحاولي مناقشة مخاوفك مع أختك . اختاري وقتاً يسمح بأن تنفردى فيه بالحديث معها ، وقولي لها إنك تخافين أن تفقديها . وأنا واثق أنك ستكتشفين أنه من الممكن أن تظل صداقتكما كما هي ، مهما تقدّم بكم العمر .